

# تاريخ الأدب الألماني

بقلم إبراهيم إبراهيم يوسف

مقدمة:

عنى أبناء العروبة في عشرات السنين الأخيرة بدراسة الآداب الغربية دراسة توحى الاطمئنان نوعاً الى ما سوف يكون عليه الجليل المقبل من تنوع الثقافة . وكانت آداب الغرب في نظر التأديين منا في بادئ الأمر هي الآداب الفرنسية وحدها ، ثم انتهى بهم الأمر ، وذلك منذ ربع قرن أو نحوه ، الى الأخذ بدراسة الآداب الانكليزية أيضاً ، وبذلك اتسع نطاق معرفة الآداب الغربية بعض الشيء . ولكن برغم هذا قاننا ما زلنا في مسهل الطريق . ولعل الخطوة الطبيعية التي تتلو ذلك ويقبها المتأديون في الشرق الأدنى والأوسط ، لا تكون إلا دراسة الآداب الألمانية دراسة جامعة ، بعد أن أخذوا بقسط غير قليل من الآداب الفرنسية والانكليزية . . . . . نعم لقد ظهرت بوادر هذه الدراسة في مصر منذ عشر سنين أو تزيد ، إلا أنها كانت دراسات موجزة لا تتفق وعظمة الآداب الألمانية ووفرة كنوزها وارتباطها بالآداب الغربية والشرقية على السواء ، ومن أجل ذلك كله حتى لبعض من عكف على دراسة الحياة الأدبية في مصر وبقية بلاد الشرق العربي أن يقول عنا بأننا أقل الشعوب المتقدمة إلماً بالآداب الألمانية . . . . . والواقع أن هذه الظاهرة لا تلائم بنية التأديين ، إذ أول واجبناهم نحو الأدب بالذات أن يحيطوا علماً بالآداب العالمية ، وليس من ينكر بأن للألمان صرحاً فيها ما زال ، وسيتيق ، موضع فخر الأدياء في كل صقع . . . . .

لهذا سله وزولاً على إرادة بعض من أجلهم ، رأيت أن أكتب في هذا الباب ، عسى أن أوفق الى إثارة الرغبة عند كرام القراء في الاطلاع على الآداب الألمانية ، بعدد توفيقى الى استمالة الأدياء للاكثار من نقل غرر الآداب الألمانية

\*\*\*

مقدمة:

لا تخلو الآداب الألمانية في أطوارها التاريخية من صفات

عامة مشتركة بينها وبين الآداب الأوربية الأخرى . نعم إن عصور ازدهار الآداب الألمانية وعصور سقوطها لا تسير مع العصور التي تاملها في آداب فرنسا أو انكلترا أو إيطاليا ، ولكن ليس معنى ذلك أن الآداب الألمانية في تطورها لم تكن مرتبطة بالحركات الدينية والثقافية والاجتماعية التي غمرت القارة الأوربية . فقد كانت ألمانيا قبل دخول المسيحية إليها في حالة أقل ما توصف به أنها حالة غامضة مبهمة . وكان الناس إذذاك يكادون ألا يعرفوا شيئاً غير الجمود والنسك ، شأنهم في ذلك شأن بقية الناس في البلاد الأوربية الأخرى . ثم تلا ذلك عصر آخر اضطر فيه فرسان الحروب الصليبية الى التمهقر أمام المدن الثائرة . وجاء عصر الاصلاح ممهداً لعصر النهضة . وكانت ألمانيا أسرع من جيرانها استجابة للحوادث الجسام التي كانت تنتاب أوروبا من وقت الى آخر . وإذا كان من المسلم به أنه لا يوجد أدب أوربي كان في كمال تطوره مستقلاً تمام الاستقلال عن آداب جيرانه ، فإنه مما لا شك فيه أن الآداب الألمانية مدينة بالشيء الكثير الى آداب الغير . لهذا كانت دراسة الآداب الألمانية هي ، الى حد بعيد ، دراسة ما يطلقون عليه اليوم اسم «الأدب القارن» ، وإذا فمن المهم معرفة مراكز الآداب الألمانية بالنسبة للآداب الأوربية ، وعلاقة هذه بتلك . وستؤدى بنا طبيعة هذا البحث الى التمييز بين الوطني من آداب الألمان والأسمى منها . وكذلك سنقف على مدى تشعب كل من النزعتين في تطور الآداب الألمانية وما ينتسب منها الى الوطنية ، وماله صلة بالتاريخ السياسي أو الاجتماعي

ولكل من مؤرخى الآداب الألمانية طريقه الخاص في استعراضه لتاريخ هذه الآداب . وكذلك كانت نظرة كل منهم في تقسيم تاريخه الى مراحل . وموقفنا هنا يضطرنا الى الأخذ بالسهل منها ؛ ولذلك يمكننا القول بأن تاريخ الآداب الألمانية ينقسم الى ثلاثة أقسام بيئة ، لثلاثة عصور مختلفة ، لكل عصر منها لغته وطابعه .

فالقسم الأول يشمل العصر القديم للألمانية الرفيعة The old high German Period الذي يبدأ حوالى سنة ٧٥٠ ميلادية ، وينتهى حوالى سنة ١٠٥٠ . والقسم الثاني يشمل العصر الوسط لآداب الألمانية الرفيعة ، Middle High German Literature الذى يبدأ من سنة ١٠٥٠ وينتهى سنة ١٣٥٠ ميلادية . ثم العصر الأول

وفريق الجرمانيين الغربيين die West germanen, West Germans وهؤلاء كانوا يؤلفون الجنيات الوطنية التي عرفت فيما بعد بالقرزية die Friesen, the Frisians والسكسون الأنجليز the Anglo-Saxons والجرمانيين الشرقيين die Niederdeutschen the Law Germans - وهم الذين يتكلمون اليوم اللغة الهولندية واللغة العامية الألمانية Plattdeutsch ثم الجرمانيين العلويين die Hochdeutschen, High Germans . ومضت بضعة قرون قبل أن تستقر هذه العنصر في مواطنها الجديدة ، وكانت غزوة الجرمانيين لأسكندنافيا قد تمت قبل مولد المسيح ببضعة قرون . ثم حفزتهم غريزة الترحال فيهم الى الرجوع ثانية الى الجنوب فأسسوا دولة الدانوب البحرية

أما الجرمانيون الغربيون فكانوا أقل من زملائهم سرعة في التطور ، إذ لم يدعمهم يوليوس قيصر Julius Caesar في القرن الأول قبل المسيح يستقرون في مكان ، وظلوا أشبه بالقبائل الرحل حتى كانت غزوة الهونيين die Hunen, the Huns في أواخر القرن الرابع ، التي ربكت عامة الجرمانيين

وكان النزاع بين الجرمان والدولة الرومانية قد استمر نحو نصف قرن ، مما دفع مؤرخي الرومان الى حب الوقوف على أحوالهم . فكان منهم تآكيتوس Tacitus وهو في كتابه جرمانيا Germania كثير التدقيق والتحقيق ، وقد قال فيه إن الأبيدية لم يستعملها الجرمان في مراسلاتهم بشكل عام إلا في القرن الثالث . وهم ككل شعب مبتدى ليس لهم شعر مخطوط . وفي أغانيهم القديمة ، وهي السقند الوحيد ، يحيون أنفسهم تيمستو Tuisto الذي أنبتته الأرض كما يحيون ابنه مانوس Mannus لاعتقادهم أنهما أس الجنس الجرمانى . والبطل أرمينوس Arminisu ذكر في أغانيهم . وكان له نشيد وطني معروف باسم بارديتوس barditus ينشدونه والدروع الى أفواههم ليكون له دوى عظيم . وكانت أناسيدم الدينية وأغاني تمجيد أبطالهم تقرن بالرقص ويسرون في مواكب تشبها بالجرمانيين الأقدمين كما جاء في ذلك الشعر ؛ وكانت الجرمان يطلقون على هذه الحفلات اسم لايكاس laikas وكانت هذه هي الخطوة الكبرى نحو المساة Drama . وأضاف تآكيتوس الى ذلك القول بأنه لا بد أن يكون للجرمانيين أدب له

لجديد آداب الألمانية الرفيعة Early New High German Literature التي يبدأ من سنة ١٣٥٠ وينتهي سنة ١٧٠٠ ميلادية ، ثم تلى تطورات الآداب الألمانية في هذه المراحل الثلاث تطوراتها الأخيرة في كل من القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين واستعلاج كل طور من هذه الأطوار التي مر بها الأدب الألماني في باب خاص ، جاعلين بنيتنا في ذلك إيضاح النزعات الفنية في الآداب الألمانية وأثر كل منها في تاريخه

\* \* \*

### العصر القديم للألمانية الرفيعة

#### التأخر الألمانية الأولى

نجد في تطور كل أدب عهداً مرتبطاً بما اتفق على تسميته في التاريخ السياسي « بعصر ما قبل التاريخ » . وفي ذلك العصر لم تكن للشعوب ثقافة عامة ، كما لم يكن لها أدب مخطوط ، ولم يكن للألمان في ثمانية القرون الأولى البتة من يوم مولد المسيح شيء يرم عنه تاريخهم السياسي من ثقافة عامة . كذلك لم يكن لهم أدب مخطوط تمت الى الحوادث الواقعية حتى عهد كارل العظيم . والواقع أن التاريخ القديم للمشار الجرمانية لا زال موضع جدل بين المحققين ، ولا يمكن الاجابة القطعية على سؤالك من أين جاءوا ، ومتى أتوا الى الجهات التي استوطنوها . ولكن من الثابت أنهم ينحدرون من الأسر الجرمانية الهندية Indo germanen وموطنها الأصلي أواسط آسيا . وكانوا في نفس الوقت التي أخذت فيه روما توطد مركزها في جنوب أوروبا يقطنون البلاد الواقعة على شواطئ بحر الشرق Ost see الممتد فيما بين بحر البلطيق وبحر الشمال . وكان أول من جاء بأخبارهم الى العالم المتحضر في القرن الرابع قبل المسيح ، رجل رحلة مفامر اسمه بيتس (Pytheas) فأثبت أنهم يتكلمون بلهجات ألمانية دون شك ، إذ هي تختلف عن بقية اللغات الأوروبية الهندية (die Indoeuropaeische Muttersprache . The Indo - European mother-tongue) . وزعموا كانت أول حدث سياسي هام يدل من كيان تلك الجماعات التي كانت تسكن المناطق الواقعة على بحر الشرق ، هو ذلك الذي أثار التفرقة بينهم وجملة فرقتين : فريق الجرمانيين الشرقيين die Ostgermanen, West Germans . وهم النوط Goten, Goths والمشار التي استوطنت أسكندنافيا Skandnavia